(٤٨) أبو عبد الله ابن الجلاء[١]

ذكر الشيخ أبي عبد الله بن الجلاّء رحمه الله رحمة واسعة:

كان رحمه الله من كبارِ مشايخِ الشام، مقبولاً مخصوصًا بكلمات رفيعةٍ، وإشاراتٍ بديعة[٢]، عديم النظير في الحقائق والدقائق والمعارف.

صحب أبا تراب، وذا النون، والجُنيد، والنُّوري رحمهم الله.

قال أبو عمرو الدمشقي رحمه الله: سمعتُ منه أنَّه قال: سألتُ أبي وأمي في ابتداء أمري أن يتركاني في سبيل الله، وتركاني، وأَذنا لي أن أسافرَ، وأشتغلَ بالطاعة والمجاهدة، ثم رجعتُ إليهما بعد مدة، ودققتُ عليهما الباب، قال أبي: من أنت؟ قلت: ابنُك الذي غابَ زمانًا. فقال: نحن وهبنا ابننا من الله تعالى، ولا نرجعُ فيما وهبنا. ولم يفتح الباب.

قال: رأيتُ شابًّا نصرانيًا في غايةِ الحسن والجمال، فتحيَّرتُ في حسنه، وكنت أنظرُ إليه، إذا مرّ بنا الجُنيد رحمه الله، فقلت: يا شيخ، كيف يُعذّبُ اللهُ تعالى مثلَ هذا في النار؟ فقال: هذا سوق النفس[٣]، وشركُ الشيطان، ولو كان نظرُك بالعبرة ففي العالمِ عجائبُ كثيرةٌ، ولكن سيبتليك اللهُ تعالى بإساءتك

---

(١) طبقات الصوفية ١٧٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣، الرسالة القشيرية ٧٦، الأنساب ٣/ ٣٩٧، مناقب الأبرار ٤٠٦، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٣، المنتظم ٦/ ١٤٨، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥١، العبر ٢/ ١٣٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٩، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٢، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، طبقات الأولياء ٨١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، نفحات الأنس ١٦٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، الكواكب الدرية ٢/ ٣٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٨.

(٢) في (ب): وإشارات بديهة.

(٣) في (أ): هذا أسوف النفس.

الأدب بحضرته، ويعاقبُك. ولمّا مضى الجُنيد رجعتُ إلى نفسي، وجدتني قد نسيتُ القرآن، حتى أنّي تضرَّعتُ إلى الله سنين، فاستعنتُ به، ورجعتُ إليه، وندمتُ وتبت، ثم إنّ الله تبارك وتعالى رحمني، وردَّ عليَّ القرآنَ، فالآن لا أقدرُ أن التفتَ إلى شيءٍ من الموجودات مخافةً من غيرةِ الله تعالى.

سُئل أبو عبد الله عن الفقر، فسكت، ثم خرجَ ورجع، قيل له في ذلك، قال: كان معي أربعةُ دراهم، فاستحييتُ أن أتكلَّمَ في الفقر، وأنا مالكٌ لأربعة دراهم، فخرجتُ وصرفتُها على المساكين.

قال: وصلتُ إلى مدينة الرسول ﷺ وأنا مَتعوبٌ فقير، ذو فاقةٍ، فزرت النبيَّ ﷺ في المنام، وقلت: أنا ضيفُك يا رسول الله، وأخذني نعاسٌ، فرأيت النبي ﷺ وأعطاني رغيفًا، فأكلتُ نصفَه، وانتبهت، فإذا نصفُه الأخرُ بيدي.

سئل عنه أنَّ الرجلَ متى يستحقُّ اسمَ الفقر؟ قال: إذا لم يبق له شيء أبدًا قطُّ.

وقال: الزاهدُ من استوى عنده المدحُ والذم.

و: العابدُ من أقامَ الفرائض في أوّلِ الوقت.

الموحّدُ من اعتقدَ أن خالقَ الأفعال كلِّها هو الله تعالى.

وقال: همّةُ العارف هو الله تعالى، ولا يرجعُ منه إلى غيره.

و: علامةُ الزاهد أن ينظرَ إلى الدنيا بنظرِ الزوال، لتصيرَ في نظره حقيرًا، ثم يُخرجُها عن قلبه بسهولة.

من لا يصحبُ التقوى يأكلُ في الفقر حرامًا صرفًا.

و: التصوف فقرٌ مجرَّدٌ عن الأسباب.

و: التقوى شكرٌ لنعمة المعرفة.

التواضعُ شكرٌ على نعمة العزِّ.

و: الصبرُ شكرٌ على نعمة المُصيبة.

الخائفُ من جعله الله آمنًا من جميعِ الأحزان.

من وصلَ بنفسه إلى مرتبةٍ، يقعُ عنها عن قريب.

و: قصدُك الرزق يُبعدك عن الله، ويُحوجُك[١] إلى الخلق.

قيل: إنه في حالة النزعِ كان يضحك، قال الطبيب: لعلّه باقٍ. نظروا إليه، فإذا هو ميت.

نوّر الله ضريحَه، ونوّر بأنوار هدايته قلوبَنا، وستر بأستار مغفرته[٢] عيوبنا، وغفر بكرمه ورحمته ذنوبنا، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وعترته أجمعين.

* * *

(١) في (أ): ويخرجك إلى.

(٢) في (أ): بأستار معرفته.